# البعد التداولي في الرسالة الساخرة لابن زيـــدون

*The pragmatic dimension in ironic letter for Ibn Zaidoun*

طالب دكتوراه/ ياسر خلفاوي
الدكتورة: فريدة لعبيدي

**قسم اللغة والأدب العربي –جامعة الشاذلي بن جديد-الطارف(الجزائر)**
**مخبر التراث والدراسات اللسانية، جامعة الطارف.**
*yasserzain46@gmail.com*

تاريخ الإيداع: 2020/10/04 تاريخ القبول: 2020/11/30 تاريخ القبول: 2021/03/15

**ملخص:**

تهتم التداولية بدراسة اللغة بين مستعملها والعلاقة التي تجمع بينهم، فهي ملتقى للعديد من روافد و مناهل كثيرة من النظريات المعرفية والفلسفية، يهدف هذا البحث إلى تحديد العناصر اللغويّة التي لا يمكن تحديدها إلا ضمن سياق مرجعي تواصلي يثبت هويتها وأفعالها الكلامية، وللعلامات بأنواعها صفة التسلّط والملازمة للأفعال الكلامية، لذلك بالغ الأثر في فهم مقتضيات العملية التواصلية، من خلال هذه المعطيات اللغوية يمكن ملامسة الحدث الكلامي وأقطابه الفاعلة ، وربط العلامات اللغوية بمستخدميها في خطاب الرسالة الساخرة لابن زيدون.

**الكلمات المفتاحية:** الخطاب؛ الأفعال الكلامية؛ الرسالة؛ المرجعيات؛ السياق.

***Abstract:***

The pragmatic study is concerned with studying language among its users and the relationship that binds them together, it is a meeting point for many tributaries and fountains of cognitive and philosophical theories.this research aim to Bullying and associated with verbal actions, so the effect is great in understanding the requirements of the communicative process, through these linguistic data it is possible to touch the verbal event and its active poles, And linking the linguistic signs with their users in the ironic letter of Ibn Zaidoun.

***key words**:* The discourse; verbal actions; letter; references; context.

**1 مقدّمة:** أودع الله تعالى في الإنسان قوة اللسان والبيان وميزّه عن الحيوان بالعقل وألهمه به القدرة، وبالمقابل ضعف القوة، ومن المخجل أن الانسان لا يستطيع الدفاع عن نفسه بالقوة العضلية فلا ريب أنه يمتلك الناصية الخطابية التي فضلها الله عزّ وجلّ به وخصها بنسله، هذه الأخيرة محتكمة في أساسها إلى نظام خاص و تناسق متكامل ضمن سياق معين.

فلا يوجد قيمة للمفردات أو الجمل بعيدة عن سياقها، فلا بد من تحليل ودراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم في الخطاب داخل السياق المحدد، من خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم.

وكل هذه المسائل تهتم بها التداولية، وتهتم أيضاً بنوعية العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المتكلم والمخاطب، والتي تبث عبر وسائل الاتصال، فيستعمل المتكلم عدة طرق للإقناع والتأثير والأمر والإخبار...إلخ[1] وفي ضوء هذا التصور تحاول المقاربة التداولية الإجابة عن مجموعة من الأسئلة الهامة مثل:

ماذا نصنع حين نتكلم؟ وما الذي نقول بالضبط حين نتكلم؟ ولأجل من نتكلم، ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ وكيف نتكلم بشيء، ونريد شيء آخر؟ وهل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصدٍ ما؟[2]

هذه كوكبة من الأسئلة التي حاولت فرانسواز أرمينكو **Francoise Armingaud** بحث إجابة عنها في كتابها المقاربة التداولية، وذلك من خلال تقديم كتابها بالتعريفات التي عرضت للتداولية، وكيف ظهرت وتكونت الدراسة التداولية، وأهم المفاهيم التي تهتم بها المقاربة التداولية من مفهوم الفعل ومفهوم السياق وحتى من مفهوم الإنجاز، ثم انطلقت إلى الغرض الرئيسي من كتابها وهو: دراسة جوانب الدراسة التداولية من الرموز الإشارية، وأفعال اللغة، والمعنى الحرفي والمعنى التواصلي.

ولكن على الرغم من أهمية الكتاب في المقاربة التداولية إلا أنه كتاب تغلب عليه مسحة الترجمة وسنعمد في هذا التقديم إلى تعريفات التداولية، وأهم عناصر التداولية، وفروعها، مع التركيز على أهم جوانب التداولية: وهي الأدوات الإشارية، والافتراضات المسبقة، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية، في ضوء السياقات المختلفة التي ترد فيها، باعتبار أن السياق هو المعطى الأساسي لدراسة التداولية.

وتعدّ الرسالة الهزلية لابن زيدون البيئة الخطابية التي ترسم لنا معالم التواصل والتفاعل بين الأقطاب التواصلية، تبرز فيها كل العناصر الخطابية بمرجعياتها ومستخدميها، متوسلين في ذلك بالمنهج التداولي، الذي نشتغل من خلاله على فن الرسائل باعتباره بيئة مناسبة تستجيب لآليات المنهج.

**2 التداولية Pragmatics**

ترتبط التداولية بكثير من العلوم: كالفلسفة واللسانيات والاتصال وعلم الاجتماع وعلم النفس...إلخ. ولكن سمتها الغالبة تتجه إلى التوجه العملي، ونتيجة لتداخلها بكثير من العلوم فقد عرضت لها كثير من الترجمات في اللغة العربية منها: التبادلية، والاتصالية، والنفعية، والذرائعية، والمقصدية، والمقامية، إلى جانب التداولية.[3]

ويعود مصطلح التداولية **Pragmatics** إلى الفيلسوف الأمريكي موريس **Morris** الذي استخدمه سنة 1938م دالا على فرع من فروع علم العلامات **Semiotics** غير أن التداولية لم تصبح مجالا يعتد به في الدرس اللغوي إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام بتطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة هم (أوستن **Austin**، وسيرل **Searle**، وجرايس**Grice**.[4]

نستنتج من هنا أن التداولية حديثة عهد بالمناهج اللسانية والتي تم خلقها من الحقول اللسانية المتعددة ، مثل علم الدلالة وعلم العلامات ، المستمدة جدورها من الفلسفة التحليلية .

**2-1 مفهوم التداولية:**

اكتسبت التداولية عددا من التعريفات، حسب اهتمام الباحثين أنفسهم فقد يكون اهتمام الباحث اهتمام بالمعنى في سياقه التواصلي فيعرفها بأنها:

دراسة المعنى التواصلي أو معنى المرسل، في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه، بدرجة تتجاوز معنى ما قاله[5]. أو دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية[6].

كما قد تعرف من وجهة نظر المرسل بأنها: كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجه المرسل عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر السياق، بما يكفل ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه.

إذن فالتداولية فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو هو دراسة معنى المتكلم فمثلاً حينما ألف ابن زيدون الرسالة، فيعني ذلك محبته الشديدة لعشيقته ولادة ويبغض مزاحمه في حبها ابن عبدوس، وليس من الضروري أن يكون إخباراً بأنه ألف الرسالة، فالمتكلم كثيراً ما يعني أكثر مما تقوله كلماته.

ومن هنا فإن أشمل تعريف للتداولية هو: دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، وإنما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، لغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما.

ونتيجة لذلك فإنه يمكن حصر العناصر التي يهتم بها المنظّرون للتداولية في: المرسل وقصده ونواياه، والمتلقي، والرسالة، والسياق، ثم أفعال اللغة.[7] ومن أجل تأويل العناصر التي ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف من هو المتكلم، ومن هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب.

فمعتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين والوقائع الخارجية ومن بينها الظروف المكانية والزمنية، والعلاقات الاجتماعية بين الأطراف هي أهم ما تركز عليه التداولية.[8]

ومن هنا نستخلص بأن السياق الثقافي والاجتماعي وخلفيات المتكلم وظروف الأحداث والمعارف التي تربط المرسل بالمتلقي هو الهدف التي تصبو إليه المقاربة التداولية .

**2-2 فروع التداولية في مقامات الرسالة الهزلية:** لسعة الدراسات التداولية في اللغة، فقد تفرّعت عنها نظريات متعددة، اهتم كل منها بجانب تداولي معين، وتطورت أبحاثه في عدة مسارات، فهناك:

- التداولية الاجتماعية: التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي وتتجلى هذه في الرسالة الهزلية على أثر الموقف الذي الاجتماعي الذي استدعى كتابة وتأليف الرسالة ويتجلى في الحب الذي يحمله ابن زيدون لحبيبته ولادة ومعاداته لخصمه ابن عبدوس.

- التداولية اللغوية: والتي تدرس الاستعمال اللّغوي من وجهة نظر تركيبية، وتتجلى في التعابير المتداولة والمستعملة من طرف المؤلف وجل الاقتباسات التي ضمن بها كلامه.

- التداولية التطبيقية: وهي تعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة، ويتجلى ذلك في تعدد المواقف التواصلية المختلقة من مشكلات الواقع الإجرائي للتداول الكلامي بين المستخدمين.

- التداولية العامة: وهي التي تعنى الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً اتصالياً.[9] ويكمن ذلك في الرسالة الهزلية بين المرسل وهو ابن زيدون والمرسل اليه هم القراء عامة (ابن عبدوس أولا وولادة ثانيا والجمهور ثالثا) والرسالة وهي مضمون الكلام المراد إيصاله من طرف المتكلم ابن زيدون.

**3 الدراسة التداولية للخطاب الأدبي:**

عنت الدراسات التداولية بأكثر من جانب من جوانب الخطاب، ويمكن إرجاع هذه الجوانب إلى خمسة مسارات، يتضمن كلاً منها عدداً من الدراسات، وهذه المسارات هي: الإشاريات، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية،والحجاج.

**3-1الخطاب الرسائلي في السياق الأدبي:**

أضحى البحث في الخطاب الأدبي وصلته بالتداولية يستحوذ على اهتمامات دارسي اللغة والأدب بداية، وذلك بفضل ما تقدمه الحقول المعرفية الجديدة كاللسانيات التداولية من مصطلحات وأدوات إجرائية، تسهم في مقاربة الأثر الخطابي.

يعتبر أنطوان مي أن «الخطاب الأدبي جملة علائقية إحالية مكتفية بذاتها حتى تكاد تكون مغلقة، ومعنى كونها علائقية أنها مجموعة حدود لا قوام لكل منها بذاتها، وهي مكتفية بذاتها، أي أنها – مكانا وزمانا وجودا لا تحتاج إلى غيرها، فالروابط التي تقيمها مع غيرها تؤلف جملة أخرى وهكذا بلا نهاية...فالخطاب الأدبي بهذا المنظور لا تنطبق عليه الثنائيات التي أربكت الفكر الكلاسيكي كالذات والموضوع، والداخل والخارج، والشرط والمشروط، والصورة والمضمون، والروح والمادة، فهو إذن يؤخذ في حضوره، لذاته وبذاته.»[10]

ويقدم عبد السلام المسدي في كتابه "الأسلوبية والأسلوب" عدة تعاريف للخطاب الأدبي، وهي لا تكاد تختلف في جوهرها، فهو يشير مثلا في بعضها إلى انقطاع الوظيفة المرجعية للخطاب، «لأن ما يميز الخطاب الأدبي، هو انقطاع وظيفته المرجعية، لأنه لا يرجعنا إلى شيء، ولا يبلغنا أمرا خارجيا، وإنما هو يبلغ ذاته، وذاته هي المرجع المنقول في الوقت نفسه. ولما كف الخطاب الأدبي، عن أن يقول شيئا عن شيء إثباتا أو نفيا، فإنه غدا هو نفسه قائلا ومقولا، وأصبح الخطاب الأدبي من مقولات الحداثة التي تدك تبويب أرسطو للمقولات مطلقا. »[11] وغير بعيد عن هذا المفهوم يقول نور الدين السد: «إن الخطاب الأدبي يأخذ استقراره بعد إنجازه لغة، ويأخذ انسجامه وفق النظام الذي يضبط كيانه، ويحقق أدبيته بتحقيق انزياحه، ولا يؤتى له عدوله عن مألوف القول دون صنعة فنية، وهذا ما يحقق للخطاب الأدبي تأثيره، ويمكنه من إبلاغ رسالته الدلالية، غير أن دلالة الخطاب الأدبي ليست دلالة عارية، يمكن القبض عليها دون عناء، بل الذي يميز الخطاب هو التلميح وعدم التصريح.»[12]

وإذا كان الخطاب عند نور الدين السد يقوم على محورين: محور الاستعمال النفعي، ومحور الاستعمال الفني. فإنه في عرف اللسانيين يتجاوز هذا التصنيف الثنائي، حيث أقيم تصنيف توليدي لا يتحدد عددا، وإنما ينحصر نوعا وكيفاً، وأضحى الخطاب الأدبي لا يمثل إلاّ

نوعا من الخطابات والتي منها: الخطاب الديني والقضائي، والإشهاري، ومعنى هذا أن كل خطاب يحمل خصوصيات ثابتة تحدد هويته.

ويميز الخطاب بما ليس خطابا في عرف اللغويين أحد أمرين: إما أنه يشكل كلا موحدا، وإما أنه مجرد جمل غير مترابطة. وعندما استعار الأسلوبيون هذا التعريف نراهم اشترطوا صفة الاتساق والترابط للتعرف على ما هو خطاب وما ليس خطابا.

وتبدو هذه العلاقة في الترسيمة الآتية:

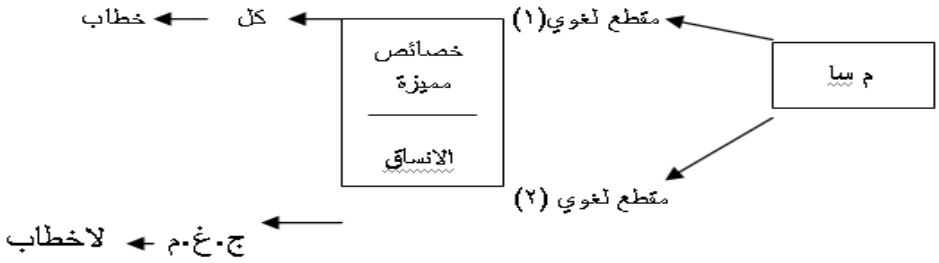


**الشكل 01:** ترسيمة لخصائص الخطاب وأجزائه

ويتضح من الترسيمة المعروضة . أعلاه . أن الخطاب الأدبي: هو ما توافرت فيه خصائص مميزة؛ كالكلية والاتساق والترابط بين الأجزاء المشكلة له، دون اعتبار شرط الطول والقصر.

وتأسيسا على ما سبق فإن الخطاب ليس مرهونا بكم محدد يطول ويقصر بحسب مقتضى الحال، وبحسب المقام، وكما يصدق أن يكون جملة، قد يكون كتابا في عدد من المجلدات، ولنا في روايات الغربيين الكلاسيكيين مثال على ذلك، فالحرب والسلام وآنا كاترينا وسواهما من الخطابات الروائية تقع في عدد من الأجزاء، وهذا يدل على أن الخطاب ليس له كم محدد تحديدا صارما.

وأما الخطاب عند "سعد مصلوح" فهو رسالة موجهة من المنشئ إلى المتلقي، تستخدم فيها الشفرة اللغوية المشتركة بينهما، ولا يقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكون نظام اللغة، أي الشفرة المشتركة، وهذا النظام يلبي متطلبات عملية الاتصال بين آراء الجماعة اللغوية، وتتشكل علاقاته من خلال ممارستهم كافة ألوان النشاط الفردي والاجتماعي في حياتهم.[13]

ينتقد نور الدين السد هذا التعريف مشيرا إلى ما يطبعه من نقائص من بينها :أنه تعريف أحادي، ينظر إلى الخطاب كمنتوج لغايات عملية نفعية، تتمحور حول الوظيفة التواصلية. ويلاحظ أن هناك وظائف أخرى للخطاب الأدبي تتجاوز حدود التوصيل، وذلك نظرا لما يميز الخطاب الأدبي من نظام خاص به، ومن تمايزه من غيره من الخطابات، كما أن الاشتراك في معرفة الشفرة لا تؤهل عارفها استجلاء كنف الخطاب، لأن هناك خطابات مستغلقة عن الفهم، وإن كان المتلقي يعرف اللغة التي أنشئت فيها.[14]

ومن خلال ما تقدم يتضح بأن الخطاب هو نتاج يشترك فيه كل الأقطاب التواصلية الفاعلة ضمن سياقاتها الاجتماعية والثقافية وخلفياتها التي تحدد لنا نوع الخطاب أساسه وفرعه ضمن قالب لغوي متسق ومنسجم.

**2-3 التعريف بالرسالة الهزلية:**

يقال لها الرسالة الهزلية أو الرسالة التهمكية أو الساخرة والتي ألفها ابن زيدون يخاطب فيها ابن عبدوس منافسه في غرامه ومزاحمه على رضى حبيبته، أرسل إلى ولادة امرأة تستميلها إليه، وتعدّد لها محاسنه و مناقبه ، فوضع الرسالة على لسان ولادة و سيرها الى ابن عبدوس[15] لقد نالت رسالة ابن زيدون من ابن عبدوس أشد المنال فقد رماه بلسانه القاذف الذي توالت ويلاته حتى صار أضحوكة بين المجتمع القرطبي و جعله محل السخرية، فطبيعة اللغة الشياجة وما تحمله من عواطف متداولة بين السخرية والغيرة وبين الحب والبغض دلّت على أن ابن زيدون يتمتع بروح ثقافية و علمية متشبعة وعلى واسع من الاطلاع والفهم.

ما نلاحظ على هذه الرسالة هي غيرة ابن زيدون على حبيبته ولادة دفعه بشدة لكتابة هذه الرسالة التي تحمل الألفاظ الشديدة والعنيفة في معانيها فألحقت بذلك كل الأذى بخصمه ابن عبدوس، فقد مزج ابن زيدون بين التعبير المتفحش البذيء واستحضار كلام العرب في الهجو وتسليط لسانه الفاحش على خصمه.

تميزت الرسالة الهزلية بشدة ألفاظها وفخامة معانيها لما تحمله من دلالات عميقة، وهذا الثراء اللغوي مصدره من عدة مخاطبين إذ أنه يقتبس من كلام العرب وأشعارهم وأمثالهم كما أن خطاب ابن زيدون يعجّ بالتناص، وأنه خطاب يتسم بالتنويع في الأغراض، فتارة يذم ويهجو وينتقص.

**4 المقاربة التداولية وطبيعة الخطاب في الرسالة الساخرة:**

**1-4 الإشاريات Deictics**

إن الإشاريات مثل أسماء الإشارة، وأسماء الموصول، والضمائر، وظروف الزمان والمكان؛ من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب؛ لأنها خالية من أي معنى في

ذاتها، لذلك فقد كان العرب سابقاً يطلقون عليها المبهمات.[16] إلا أنها عامل هام في تكوين بنية الخطاب فلها دور مهم في الإحالة إلى المعلومات[17] «الإشاريات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه»[18] فكل فعل لغوي يكون ناجحاً إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة، وإذا كان للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة.[19]

فالمتكلم يشكل المركز الذي من خلاله يمكن أن نحدد مسألة القرب والبعد المادي والاجتماعي، بالنسبة لأطراف الخطاب، ولتوضيح هذا الكلام سنعمد إلى أصناف الإشاريات وسنوضح من خلالها المفاهيم التداولية التي تكتنف كل صنف وهي: الإشاريات الشخصية، الإشاريات الزمانية، الإشاريات المكانية، الإشاريات الاجتماعية، الإشاريات الخطابية.

ويرى بعض الباحثين أن (ال) للتعريف تدخل في العناصر الإشارية؛ لأنها تقوم بالوظيفة التي يقوم بها اسم الإشارة، والفرق بينهما أن اسم الإشارة يدل عليها بالدلالة على القرب والبعد، أما (ال) التي للتعريف فهي غير موسومة بقرب ولا بعد.[20]

**4-1-1 الإشاريات الشخصية:**

وتشمل ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب، فهذه الضمائر عناصر إشارية، لأن مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه.

ومثال ذلك في كلام ابن زيدون في هزليته: «أما بعد، أيها المصاب بعقله، المورط بجهله، البين سقطه، الفاحش غلطه، العاثر في ذيل اغتراره، الأعمى عن شمس نهاره، الساقط سقوط الذباب على الشراب، المتهافت تهافت الفراش في الشهاب، فان العجب أكبر، ومعرفة المرء نفسه أصوب، وأنك راسلتني مستهديا من صلتي ما صفرت منه أيدي أمثالك، متصديا من خلّتي ما قُرعت دونه أنوف أشكالك، مرسلا خليلتك مرتادة، مستعملا عشيقتك قوادة، كاذبا نفسك أنك ستنزل عنها إلي، وتخلف بعدها علي» فالسياق هو الذي يحدد إحالة الضمير (أنا وهو وأنت).

ولا بد في الإحالة من تحقق شرط الصدق فلو قال ابن زيدون أني أحي ولادة وأكره ابن عبدوس الذي نافسه فيها فلا يكون هذا صدقا مطلقا بل لا بد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع، بأن ابن زيدون يحب ولادة حقيقة قولا وفعلاً، وأن الكلام قد قيل في الظروف التاريخية المناسبة.[21]

وقد ينشأ نوع من اللبس في استخدام الضمائر، إذا تعدد الأشخاص فيؤدي هذا إلى تعدد في إحالات الضمائر.

**4-1-2 إشارات الخطاب:**

هناك إشاريات للخطاب تعدّ من خواص الخطاب وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم مثل: ومهما يكن من أمر، لكن، بل، فضلاً عن ذلك، من ثَمّ... وهذه الإشاريات قد تلتبس بالإحالة إلى سابق أو لاحق.[22] وقد تستعار إشاريات الزمان والمكان لتستخدم إشاريات للخطاب فكما يقال: الأسبوع الماضي يمكن أن يقال: الفصل الماضي من الكتاب أو الرأي السابق، أو يقال: هذا النص وتلك القصة.[23] ويتمثل هذا في اشارة ابن زيدون في رسالته إلى الإحالات المقامية واقتباس المواقف الخارجة عن بوتقة النص وإضافة إلى ذلك عبارات خاصة بموقف ابن زيدون اتجاه ابن عبدوس في قوله: "وهل يجتمع لي فيك إلا الحشف وسوء الكيلة، ويقترن علي فيك بك إلا الغدة والموت في بيت سلولية؟" وهذا ذم في مناطه للخصم ويعبر عن خاصية الخطاب التهكمي لابن زيدون، وهنا ربط التهكم بالاستفهام في سياق الخطاب.

**3-1-4 الإشاريات الاجتماعية:**

وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة غير رسمية، أي علاقة صداقة أو ألفة، والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر سناً ومقاماً من المتكلم، أو مراعاة للمسافة الاجتماعية بينهما فتشمل الألقاب، فخامة الرئيس، جلالة الملك، سمو الأمير، والسيد والسيدة...أما العلاقة غير الرسمية فتشمل النداء بالاسم المجرد...[24]

فمسألة تحديد نوع العلاقة الاجتماعية بين أطراف الخطاب مسألة نسبية.[25] تختلف من موقف لآخر، ومن حيث قرب أو بعد الأطراف، سواء كان القرب أو البعد مادياً أو اجتماعياً أو نفسياً.

والعلاقة الكائنة بين ابن زيدون وابن عبدوس هي علاقة تباعد وعداوة وحمل للكره والبغض والبين في قوله: "أيها المصاب بعقله، المورط بجهله، البين سقطه، الفاحش غلطه، العاثر في ذيل اغتراره، الأعمى عن شمس نهاره، الساقط سقوط الذباب على الشراب" وهي عبارة عن علاقة غير رسمية من خلال الكنيات التي قدمها ابن زيدون ناهيك عن النداء في بدء الكلام وتنقيصه من عقله، وتوصيفه بالجهل.

**2-4 الافتراض السابق Presupposition:**

يوجه المتكلم حديثه إلى المخاطب على أساس مما يفترض سلفاً أنه معلوم له، فإذا قال شخص لآخر: أغلق النافذة، فالمفترض سلفاً أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مبرراً يدعو إلى إغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة، وكل هذا موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم

بالمخاطب، ويمثل ذلك في الرسالة الهزلية السابقة التي حملت عليها الرسالة بأكملها وهي معاداة ابن زيدون لخصمه ابن عبدوس في قضية محبوبته ولادة.

ويقرر فينيمان بأن لأي خطاب «رصيداً من الافتراضات المسبقة (يضم معلومات) مستمدة من المعرفة العامة، وسياق الحال، والجزء المكتمل من الخطاب ذاته فلدى كل طرف من أطراف الخطاب، رصيد من الافتراضات المسبقة، وهذه الافتراضات في تزايد مع تقدم عملية الخطاب.»[26] وضمن رصيد الافتراضات المسبقة المصاحبة لأي خطاب، توجد مجموعة من المسلمات الخطابية.

والمعلومة المسلمة هي تلك المعلومة التي يعتبرها المتكلم قابلة لأن نحصل عليها، إما بالإحالة إلى ما سبق من النص أو بالعودة إلى المقام، ويميز الباحثون بين نوعين من الافتراضات المسبقة:

- المنطقي أو الدلالي.
- التداولي.

فبالنسبة للافتراض المنطقي فإنه يستلزم أن تكون الجملتين صحيحتين (الجملة المحكية والجملة المفترضة) مثل:

يعرف ابن زيدون أنّ ولادة محبوبته وابن عبدوس خصمه فيها، فالافتراض المسبق: أن ابن زيدون يحب ولادة فهو بالتالي يكره كل من يزاحمه فيها. فإذا كانت الجملة الأولى صحيحة، فإن الجملة المفترضة صحيحة، أما الافتراض التداولي المسبق فلا دخل له بالصحة أو عدمها.[27]

فالافتراض المسبق يبقى غير متأثر بالنفي، فإذا قال ابن زيدون أنا أحب ولادة ولا أكره ابن عبدوس، أو أحبها وأكرهه، فعلى الرغم من تناقض القولين إلا أن الافتراض المسبق وهو أن اعتقاده لا يزال قائماً في الحالين. ومن هنا فإن كافة الافتراضات المسبقة هي دائماً صحيحة.

**3-4 الأفعال الكلامية Speech acts:**

هذه الأفعال هي أفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب، بجملة نعبر بها عن مدلول إنجاز ذلك العمل.[28] فليس التلفظ بالخطاب فعلاً تصويتياً فحسب، بل هو فعل لغوي، فهناك أعمال لا يمكن إنجازها إلا من خلال اللغة، وهذا ما يجعل الخطاب فعلاً بمجرد التلفظ به.[29]

ويمكن تقسيم هذه الأفعال إلى:

**4-3-1 أفعال إخبارية:** تصف وقائع، وتكون صادقة أو كاذبة، ويمثل ذلك في الرسالة الهزلية الأحداث الغرامية وتدافع الخصوم لإثبات الذات والظفر بمحبوبته، إضافة إلى التغريضات الإخبارية التي تداولها ابن زيدون من أجل التنقيص ووسم العار على الآخر (ابن

عبدوس) وهذه الوشايات التي وشاه بها سواء كانت كاذبة أم صادقة فتعتبر أفعال كلامية ففي قوله: "واستعليت في مراتب الجلال، واستوليت على محاسن الخلال" وهذا الفعل الخبري المنقول عن ابن عبدوس يصف واقعة عنه سواء كانت كاذبة أو خطأ.

**2-3-4 أفعال أدائية:** ننجز بها في ظروف ملائمة الأفعال، ولا توصف بصدق أو كذب، ويدخل فيها: التسمية، والوصية، والاعتذار، والشكر، والمواساة، والنصح، والوعد، والتحدي، والإذن...إلخ.[30] ومثال ذلك في الرسالة تحدي ابن زيدون لخصمه: "إني عِلقٌ لا يباع فيمن زاد، وطائرٌ لا يصيده من أراد، وغرض لا يصيبه الا من أجاد، ما أحسبك إلا كنت قد تهيأت للتهنئة، وترشحت للترفئة، ولولا أن جرح العجماء جبار، للقيت من الكواعب ما لاقى يسار" وهذا فعل أدائي للكلام وإنجاز عملي في القول.

**5 خاتمة:**

خلصت الدراسة في هذا البحث باعتماد الاتجاه التداولي إلى فهم مقتضيات الخطاب في الرسالة التهكمية الساخرة وأقطابها التواصلية مع تقديم نموذج لدراسة اللغة التي نتخاطب بها، في ضوء السياق، والظروف المحيطة، ونتيجة لذلك لعلي أشير هنا إلى أهم ما خلص له البحث:

لا فائدة من دراسة اللغة دراسة شكلية بعيدة عن السياقات الاجتماعية والثقافية، بل لا بدّ من اتحاد كل السياقات المساعدة على فهم اللغة ومستخدميها، فالطبيعة الخطاب التهكمي في الرسالة الساخرة تتضح من خلال السياق التداولي للألفاظ المستعملة ودوافع الخطاب لكل مستخدم للغة.

من أهم أهداف الدراسة التداولية: عدم الاعتماد على المعنى الحرفي لمعرفة مقاصد المتكلم، وهذا ما توصلنا له من خلال الرسالة الساخرة، فكم من عبارة لفظية وضعت لغير معناها الأصلي بل معناها بين ثنايا مقاصد المتكلم فقط.

تقوم الدراسة التداولية على دراسة المعنى الذي يرمي إليه المتكلم من خلال ما يقول، ودراسة عمليات الاستدلال التي يقوم بها المتلقي، وهو يحلل الخطاب حتى يصل للمعنى المطلوب.

تتطلب الدراسة التداولية النظر في مضمون كلام المتكلم، وفق اعتبارات مختلفة منها: هوية المخاطب، ومكان الخطاب، وزمن الخطاب، والظروف التي تكتنف الخطاب، والرسالة الساخرة بينت لنا هوية المخاطبين والمتفاعلين بواسطة الظروف المساعدة على انتاج الخطاب.

معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي، ومن يشارك في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، والوقائع الخارجية ومن بينها الظروف المكانية

والزمانية، ونوع العلاقة الاجتماعية التي تربط بين الأطراف، هي أهم ما تركز عليه التداولية، والرسالة الهزلية قد استجابت لآليات المنهج التداولي، من خلال معرفة خلفيات ومقاصد كل المتواصلين والمتفاعلين، مما ساعد على دراسة طبيعة الخطاب فيها.

تعمد الدراسة التداولية إلى دراسة الأدوات الإشارية التي تعد من المهمات، التي لا يتحدد مرجعها إلا من خلال السياق المادي والاجتماعي. غير أنها تجعل اللغة تتجدد فيما تحيل إليه، فهي تشكل بنية أساسية في الخطاب، ومفهوم الزمن، ومفهوم القرب والبعد الذي تشير إليه، لا يتحدد إلا من خلال سياق الحال، والمقام الذي يدور فيه الخطاب.

الإحالة إلى عنصر لغوي سابق أو لاحق، هو الحكم في تنكير عنصر لغوي أو تعريفه. والمتكلم يراعي حال المخاطب، فإذا قدر علمه بالشيء استخدمه معرفة، وإذا قدر جهله به استخدمه نكرة ليعلمه به.

المتكلم يشكل المركز الذي من خلاله يمكن أن نحدد مسألة نسبية القرب والبعد المادي والاجتماعي، بالنسبة لأطراف الخطاب.

أيضاً تعمد الدراسة التداولية إلى دراسة الأفعال الكلامية التي تنجز من خلال عملية الخطاب، كالالتماس والرجاء والشكر والعتاب والنصح والذم والوعد.

معرفة الأقطاب التواصلية في الرسالة الهزلية في سياقها الاجتماعي والثقافي والتاريخي مع إدراك التنوع المعرفي والخلفيات التي بني عليها الخطاب.

## 6- قائمة المصادر والمراجع


1. نعمان بوقره ، التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون، مجلة الرافد، يناير، 2006م.
2. أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، ط1، 1986م.
3. ميجان الرويلي وسعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1 ، 2000م.
4. ظافر عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004 م.
5. صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992م.
6. السيد عبد الحميد مصطفى، دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد، عمّان، ط2، 2004م، ص120. وَأرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية.
7. نطوان مقدسي، الحداثة والأدب، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، عدد: التاسع، جانفي 1975.
8. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م.
9. نور الدين السد، الأسلوبية في النقد الأدبي الحديث، الجامعة الأردنية، الأردن، 1990م.

10. سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، دار البحوث العلمية، الكويت، 1991م.
11. ابن زيدون، سلسلة الروائع، البستانى فؤاد افرام الرسالتان ومقطعات شتى، درس ومنتخبات، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1961م.
12. بلبع عيد، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، مجلة فصول، (د، م)، عدد 66، ربيع 2005.
13. فان دايك ، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000م.
14. ج.ب. براون وَ ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطني ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997م.
15. ليش جيفري وَتوماس جيني، اللغة والمعنى والسياق، البراغماتية (المعنى في السياق)، الموسوعة اللغوية، تحرير: ن. ي. كولنج، ترجمة: محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود، الرياض، 2000م.
16. طالب عثمان، البراغمتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، 1986، الجامعة التونسية، تونس.
17. مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، مجلة الدراسات اللغوية، الرياض، (د، ع)، يوليو. سبتمبر، 2004م،

## 7 هوامش البحث:

[1] نعمان بوقره ، التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون، مجلة الرافد، يناير، 2006م، ص83.

[2] أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، ط1، 1986م، ص7.

[3] ميجان الرويلي وسعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1 ، 2000م، ص100.

[4] نحلة محمود أحمد ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، دط، 2002م، ص9. وَأرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ص13.

[5] ظافر عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004 م، ص22.

[6] أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ص8.

[7] بوقره نعمان، التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون، ص83.

[8] صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992م، ص99. وَالسيد عبد الحميد مصطفى، دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد، عمّان، ط2، 2004م، ص120. وَأرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ص48.

[9] نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص15.

[10] أنطوان مقدسي، الحداثة والأدب، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، عدد: التاسع، جانفي 1975، ص225.

[11] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م، ص116.

[12] نور الدين السد، الأسلوبية في النقد الأدبي الحديث، الجامعة الأردنية، الأردن، 1990م، ص246.

[13] سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، دار البحوث العلمية، الكويت، 1991م، ص23.

[14] نور الدين السد، الأسلوبية في النقد الأدبي الحديث، ص 252.

[15] ابن زيدون، سلسلة الروائع، البستانى فؤاد افرام الرسالتان ومقطعات شتى، درس ومنتخبات، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1961م، ص01.

[16] بلبع عيد، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، مجلة فصول، (د، م)، عدد 66، ربيع 2005، ص41.

[17] أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ص41.

[18] ظافر عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص81.

[19] فان دايك ، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000م، ص266.

[20] نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص22، 23.

[21] المرجع نفسه، ص18.

[22] المرجع نفسه، ص24.

[23] المرجع نفسه، ص24.

[24] المرجع نفسه، ص25.

[25] أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص42.

[26] ج.ب. براون وَ ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطني ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997م، ص96.

[27] ليش جيفري وَتوماس جيني، اللغة والمعنى والسياق، البراغماتية (المعنى في السياق)، الموسوعة اللغوية، تحرير: ن. ي. كولنج، ترجمة: محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود، الرياض، 2000م، ص189.

[28] طالب عثمان، البراغمتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، 1986، الجامعة التونسية، تونس، ص131.

[29] مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، مجلة الدراسات اللغوية، الرياض، (د، ع)، يوليو. سبتمبر، 2004م، ص 19، وأرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص60.

[30] أرمينكو، المقاربة التداولية، ص61، ونحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص44. وَليش توماس، اللغة والمعنى والسياق، ص175.